الأستاذة سعاد الذّوّادي	أخطار البطالة على الفرد و المجتمع	السّنة التّاسعة أساسيّا

الموضوع:

لاحظت أنّ أحد أقاربك قد طالت بطالته ولمّا تحدّثت اليه عبّر عن رفضه العمل مفضّلا البطالة متعلّلا بأعذار شتّى فاستأت من موقفه وقرّرت أن تقنعه بأخطار البطالة على الفرد والمجتمع.

انقل ما دار بينكما من حوار موظّفا حججا دقيقة.

التّحرير:

خلال العطلة المدرسيّة اجتمعت العائلة الكبيرة في منزل جدّتي في الحديقة نستمتع بجمال الطبيعة. فاستغلّت خالتي الفرصة واشتكت من طول بطالة ابنها الذي تخرّج من الجامعة منذ سنتين ومن موقفه الرّافض للعمل. وكان لشكواها الأثر الكبير في نفسي فقرّرت دعوة ابنها وهو صديق لي إلى جولة على شاطئ البحر لعلّ الأجواء الرّائعة تساعدني على تجاذب أطراف الحديث معه في هذا الموضوع فقبل دعوتي بكلّ ترحاب وانطلقنا تنعشنا النّسائم العليلة في جولة ممتعة فاستغللت الفرصة وفاتحته في الأمر ولمته على وقته الذي يمرّ هَدْرًا فعلّل رفضه العمل وتفضيله البطالة بحجج شتّى فاستنكرت موقفه وسعيت إلى إقناعه بأخطار البطالة على الفرد والمجتمع.

وما إن فاتحته في الموضوع حتّى ادلهمّ محيّاه وتغيّرت سحنته فإذا هي أشبه بسماء مكفهرّة في يوم ممطر وحدجني بنظرة قاسية حملت كثيرا من الألم ولم يلبث أن جاءني صوته كالرّيح العاصف والرّعد القاصف:

–تبّا لهذه الحياة التي لم تنصفني لا أحد يفهمني أتّهم بالإعراض عن العمل! وهل توفّر عمل شريف وأعرضت عنه؟ شهادة عريضة في الهندسة سهرت اللّيالي أنقّب في الكتب حتى عشا بصري وفي النّهاية يُعرض عليّ أن أشتغل موظف استقبال أو كاتب طبيب أو نادلا في مقهى أو عاملا في مصنع؟ أنا ما خلقت لمثل هذه الأعمال المهينة والبطالة أفضل لأنّي لو قبلت بمثل هذه الأعمال سأستغلّ أبشع استغلال سيُسْتَنْفَذُ جهدي في ساعات عمل طويلة ومرهقة ورتيبة ثمّ يُرْمَى لي في آخر الشّهر بمبلغ زهيد لا يغني من جوع ماذا سأفعل بثلاث مائة دينارا؟ إنّها واللّه

لن تكفيني لحاجياتي الضروريّة. الربّح يتدفّق على المؤجّر وأنا لن يتدفّق عليّ غير الإرهاق والضّغط أمّا عن ظروف العمل فحدّث ولا حرج سواء اشتغلت في مصنع أو مكتب أو .... حقوق مهضومة بعقود ظرفيّة تبيح طردك متى انتهت حاجة المشغّل إليك وإن حاولت أن تتذمّر ستلاحقك الشّتيمة الجارحة

والنّظرة المذلّة. والله يا رفيقي لن أكون **كالشمعة التي تحترق ليتمتّع غيرها بنورها.** لكلّ هذه الأسباب انتهيت إلى حلّ ارتضيته لنفسي وهو البطالة أتخلّص بها على الأقلّ من الاستغلال والعبودية وأنعم براحة البال والجسد ثم إنّ **"ما من دابّة على الأرض إلاّ وعلى الله رزقها "**

صفوة القول يا ابن خالتي لا خير في عمل لا يتناسب وشهادتي والخير كلّه في البطالة ويوم تفتح لي الهندسة أبوابها ستجدني في انتظارها.

كان كلامه على غاية من الحساسيّة فلم أشأ أن أقاطعه رغم أنّه قد ساءني كثيرا ووقع في نفسي وقع السّهام في جسم الفريسة ولكنّه لم يشلّ عقلي ولم يكبح لجام لساني ولم يردّني عن طريق عزمت على السّير فيه وما إن صمت حتّى انبريت أقول بكلّ ثقة في النفس:

– هوّن عليك يا أخيّ وكن عاقلا في مواجهة مشاكل الحياة ولا تكن كربّان سفينة في عمق المحيط تفاجئه عاصفة فيفقد صوابه ويسلّم أمره للأمواج تطوّح به ذات اليمين وذات الشمال إنّه والله من حقّك أن تطمح إلى عمل يلائم شهادتك ولكن إن تعذّر ذلك فمن الخطأ يا قرّة العين أن ترفض عملا آخر أنعم به الله عليك في مثل هذه الظّروف الصّعبة. **وإنّي وإن كنت أقدّر وضعك وما يمكن أن تحسّ به من استنقاص لمؤهّلاتك العلميّة فإنّني أخالفك الرّأي بل أعتبر موقفك متجنّيا وقراراتك غير صائبة لأنّها لا تستند إلى رؤية سليمة ولا تكشف منطقا صائبا** ولهذه الأسباب فإنّني أنبّهك إلى أخطار البطالة على الفرد والمجتمع **فلا يختلف عاقلان في** أنّ العاطل عن العمل عاجز عن توفير ضروريات حياته ممّا يجعله في تبعيّة دائمة لأسرته مثله في ذلك كمثل مصّاص الدّماء يعيش عالة على النّاس و يتغذّى على مصّ أقواتهم أو كمثل الأعشاب الطّفيلية التّي تستمدّ حياتها من عصارة النّبت العامل و دماء الحيوان السّاعي .هذا فضلا عن كونه لن يعرف سوى الحاجة والخصاصة إنّ البطالة هي الهاوية التّي تقود الفرد باتّجاه الفقر والحاجة ولن يعيش غير الذّل و المهانة فشتّان بين عامل يصنع حياته بعرق جبينه فيستلذّ لقمة عيشه وآخر عاطل عن العمل ينتظر أن تتكرّم عليه بعض السّواعد برزق يُشِينَه ولا يزينه.

و ممّا لا شكّ فيه أنّ الفراغ يولّد الشّعور بالملل و الضّجر و رتابة الحياة ممّا ينمي الإحساس بلا جدوى الحياة و عبثيّتها و هذا يدفع إلى الشّعور باليأس و الإحباط و هي حالات نفسيّة مرضيّة خطيرة كانت سببا في انتحار الكثير من الشّباب العاطل بعد أن انسدّت أمامهم كلّ الآفاق و السّبل أو تراك نسيت جارنا أحمد ذاك الشّاب اليافع الذي أقدم منذ خمس سنوات رحمة الله عليه على الانتحار بعد أزمة نفسيّة حادّة سببها البطالة **ناهيك أن** بعض الشبّان يقدمون على الهجرة غير الشّرعيّة و يلقون حتفهم في عرض البحر بسبب ما يعيشونه أيضا من أوضاع ماديّة و نفسيّة صعبة سببها البطالة و لذلك قيل " الحركة بركة و التّواني هلكة ".

وأُعلم يقينا أنّ البطالة تحطّ من قيمة الفرد و تفقده عزّته و كرامته و حياءه فتدفعه الحاجة إلى طلب المال أو اقتراضه باستمرار ممّن يعرف وممّن لا يعرف فينفر منه النّاس و يصبح كالبعير الأجرب الكلّ يتجنّبه و يخشى رفقته و لا شكّ أنّك قد أحسست أنّ كلّ من منحك شيئا إنّما كان يفعل ذلك على مضض وإن أخفى عليك شعوره ألا يحزّ في نفسك ذلك الأمر ؟

و لا مراء في أنّ الله قد نهانا لكلّ هذه الأسباب التي أسلفت ذكرها عن البطالة و قلّب صفحات صحيحيْ البخاري ومسلم نجد أنّ الرّسول قد أكّد ذلك في العديد من الأحاديث و منها قوله صلّى الله عليه و سلّم "إن الله يكره العبد البطّال " وقد أكّد ذلك الإمام الأوزاعي في قوله " إذا أراد الله بقوم سوءاً منحهم الجدل و منعهم العمل " .

صفوة القول يا صويحبي إيّاك و البطالة لأنّها أمّ المفساد .

رفعت بصري أستجلي وقع كلامي في نفسه فبدا يتخبط بين شعلة كبريائه و ألم خاطره فلم أمهله فرصة الردّ و انسابت الكلمات نهر حكمه بين شفتيّ وأنا أقول و كلّي ثقة :

– والحقيقة يا ابن خالتي و إن هانت عليك نفسك فكيف يهون عليك الوطن ؟و كيف يغيب عن ذهنك ما للبطالة من خطر على المجتمع ؟ لِتَعْلَمْ يا أخي علم اليقين أنّ العالم حلبة تنافس عظيم بين الأمم على الإنتاج. و بناء على ذلك فإنّ الأمة تغدو إمّا غنيّة بأبنائها أو فقيرة بهم فإذا بالإنتاج يتراجع و بالاقتصاد يتقهقر و بالمقدرة الشّرائيّة تعجز و بالمديونيّة تتفاقم و بالاستعمار يُمَنِّي نفسه بالعودة بأشكال مغايرة لما عرفناه بالأمس. و نظرة متفحصة إلى الواقع نجد أن عدد العاطلين عن العمل قد تجاوز اليوم ...الأمر الذّي يدفع الدّولة دوما إلى التّداين و ها نحن نعيش العجز التّجاريّ و تفاقم المديونيّة و ها هو الشّلل يدبّ إلى دواليب الدّولة ...

و لا خلاف في أنّ ركود الاقتصاد و انتشار الفقر سيفتح أبواب الانحراف على مصراعيها أمام العاطلين. أو ليس الفراغ هو طريق الشيطان إلى الإنسان و البطالة هي أمّ الانحراف بأشكاله و بوّابة الفساد بأصنافه فَمَنْ يكون المجرمون و السارقون و المدمنون ؟إنهم لا ريب في ذلك عاطلون طالت بهم البطالة و تراكمت عليهم حاجاتهم فتقدّموا إلى الكسب الحرام السّهل .فإذا الجريمة انتشرت وإذا السّرقة قد تفاقمت و إذا المخدّرات قد رُوِّجت وإذا الأمن قد شَرَدَ و قلّب صفحات الأنترنت تجد أنّ الكثير من الدّراسات أثبتت أنّ خمسين بالمائة من السّجناء و من المحكوم عليهم هم ضحيّة البطالة أفلم يقل أندري مورو "البطالة و الفراغ رأس مال الشيطان " و مفاد ذلك أن البطالة الأمّ الولود لمختلف الآفات .

و مما لا شك فيه أنّ المجتمع الذّي يعجز عن إطعام مواطنيه وعن توفير الأمن لهم سيهوى نجمه و يأفل فالبطالة هدم لكيان الحضارات فالشّعب الذّي لا يعمل شعب عاجز عن إثبات ذاته و فرض حضارته في سجلّ التّاريخ . إذ يبقى نكرة لافتقاره لأيّ موروث إنسانيّ و أُسبر أغوار التّاريخ تر أنّ الأمم التّي لم تؤمن بالعمل قيمة قد عفا عليها الزّمان و طوتها الأيّام و لفّها النّسيان و كيف لا يكون ذلك مصيرها وهي التّي تباعدت عن ركب الحضارة و لم تترك بصمة ولا أثرا على وجودها. صفوة القول "إيّاك والبطالة لأنّ فيها هلاك الفرد وخراب المجتمع و العمل العمل فيه يتطور الأفراد و المجتمعات "

عندما أكملت كلامي نظرت إليه فلم يعقب هذه المرة على كلامي ولم ينكدر بل شرع في تدبر معاني أفكاري وتقليبها على مختلف وجوهها ثم نظر إلي نظرة دافئة مليئة بالإعجاب فلم يترك لي مجالا للشك في اقتناعه برأيي و كم كانت فرحتي كبيرة عندما أخبرني من الغد أنه اتصل بإحدى الشركات الخاصة التي عرضت عليه قبل شهر فرصة عمل و عبر لها عن قبوله العرض و تم توظيفه. فليت كلّ العاطلين عن العمل يدركون خطر البطالة فينصرفون إلى العمل والبناء.